

حسين الإيبش دمشقي جذبته مجاهل إفريقيا والهند



حسين أحمد الإيبش المولود في دمشق عام 1884 أحد أهم الشخصيات الفاعلة في تاريخ نهضة المنطقة في أواسط القرن الماضي، حاز شهادة التجارة من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1906م، لديه إنجازات كثيرة تثير الاستغراب، كونها وُلدت في فترة كان الجمود فيها لا يزال يلف المنطقة بأسرها، ومن ناحية أخرى تدل مواهبه والنتائج التي حققها على شخصية واعية تجاوزت المرحلة التي وُلد فيها بعشرات العقود، لا بل لأكثر من قرن . ومن يذهب ويرى متحف #187; حسين الإيبش #171; في حي القصور في العاصمة السورية سيُذهل ويُعجب بما يشاهد لتتكرر هذه الحالة مرات . أمام كل جناح مزدحم بإنجازاته الرائعة، ليرفع في النهاية القبة له احتراماً وتقديراً

الإيبش من أسرة اشتهرت بالعمل الزراعي، وتجارة الخيل، وعمل مع والده بنفس المهنة، وتزوج من وجيهة ابنة عبد الرحمن باشا اليوسف رئيس مجلس الشورى، ورئيس محمل حج شام شريف، ومن أهم إنجازاته أنه عُيّن بالمجلس . التمثيلي لسوريا بعد انتهاء الحكم العثماني عام 1919

تبين الوثائق التاريخية أنه كان على معرفة كبيرة بشخصيات مهمة على صعيد محلي وعربي وعالمي، وكثيرة لتلك

العلاقات الكبيرة، وجاءت رحلته الشهيرة للصيد مع الأمير يوسف كمال الذي كان أحد أعضاء الأسرة المالكة في مصر قبل ثورة يوليو 1952، وكان خط سير الرحلة نحو مجاهل إفريقيا والهند بين عامي 1914 و1926 لاصطياد الحيوانات والوحوش المفترسة والطيور على أنواعها، وكان الهدف من رحلة الصيد تلك هو نقل أجواء البيئة الإفريقية والهندية إلى كل من دمشق والقاهرة، وتأسيس متحف متخصص بهدف البحث العلمي للأجيال الصاعدة، وجرّت عمليات التحنيط في إنجلترا مع تكاليف ضخمة في نقل الحيوانات ذهاباً إليها وعودة باتجاه سوريا ومصر، وكل ذلك على نفقته الخاصة . وفي الفترة التي نشط فيها الإيبش ويوسف كمال في عملية الصيد . لم تكن القوانين قد صدرت بعد بشأن الحيوانات المهددة بالانقراض، ولذلك عندما تتجول في أجنحة المتحف ستجد نفسك محاطاً بأنواع منقرضة منها مثل الغزلان النادرة، بالإضافة إلى وجود أنواع متعددة من نفس الحيوانات، وصور التقطت بكاميرته لحيوانات فريدة منقرضة . كالقروذ .

هذه المجموعة النادرة التي جاءت حصيلة مغامرة صيد لا يجرؤ على القيام بها سوى الفرسان الأقوياء عرضت سابقاً في دار #187؛ الإيبش #171؛ في سوق ساروجة بدمشق (حالياً هي المعهد النقابي المركزي للعمال)، وفي ثانوية التجهيز الأولى عام 1936، وفي معرض دمشق الدولي على نفقته الخاصة، وكان يؤمّن عليها في بريطانيا بمبالغ طائلة . والرواية الأهم أن هذه الموجودات تعرضت للإهمال بعد وفاة #187؛ الإيبش #171؛ عام 1967، فلم تلقَ الاهتمام اللازم لظروف غير واضحة، فبقي ملفها مقفلاً حتى افتتاح المتحف المدرسي للعلوم في 2007، وبجهود شخصية كان أبرزها التعاون بين الفنان موفق مخول وحفيد الإيبش عمر فائز الإيبش اللذين تشاركا مع وزارة التربية السورية ومديرية تربية دمشق في حي القصور، فقدّمت الإمكانات المتاحة لدعم المشروع كمتحف علمي الذي يُعدّ اليوم معلماً حضارياً في دمشق، وذكر القائمون على المشروع أن إهمال المحنّطات وعوامل التخزين السيئة قضت على عدد كبير من الحيوانات، فمن بين 1600 قطعة لم ترمم وتعرض سوى 400 .

يقول عمر الإيبش حول عرض تراث جدّه من خلال مشروع المتحف العلمي: #187؛ كوني أحد أحفاده، وتنفيذاً لوصيّته المهمة بالنسبة للجميع، جاء هذا المتحف، وإهداء هذه المجموعة القيّمة إلى البلد، وكان الهدف من الوصيّة إجراء البحث العلمي، بالمجان لجميع السوريين كما أراد، وشكّلنا لجنة عمل تطوعي من المجتهدين والعاملين في المتحف، وهم من اختصاصات متنوعة، وتعاوننا وشكّلنا اللجنة لمتابعة العمل، والشئ الذي حققناه أن المتحف دخل ضمن مجموعة المتاحف الرسميّة في سوريا #171؛ . ويضيف #187؛ سينشأ طابق وملحق يضمّ مساحة كبيرة تمثل قسم الأنشطة التفاعلية، والهدف منه تنمية الموارد البشرية للأطفال والتلاميذ والجامعيين، لأنّ المتحف بما يضمّ من أقسام متنوعة مثل الفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والصخور والمستحاثات والمحنّطات يلاقي اهتمام طلاب كل المراحل، وبهذا يكون المتحف أخذ حقّه تماماً، وأصبح في عداد المتاحف العالمية، حيث قسم الأنشطة التفاعلية ضروري #171 .

وكان حسين الإيبش شارك في الدعم المادي والمعنوي للثورة السورية الكبرى، وأنشأ مدرسة للتعليم المجاني في قرية الهيجانة بريف دمشق على نفقته، وكان نصيراً للأدباء والشعراء مادياً ومعنوياً .

وهو أوّل من أدخل الميكنة الزراعية إلى سوريا، حيث وجّه عنايته للزراعة، وكانت مشاريعه الزراعية واسعة وشملت تطويراً للبذور والنباتات، وعمل على جرّ مياه نهر الأعوج بريف دمشق بحفر الأقنية والترع اللازمة، وشيّد سداً لتجميع مياه النهر لإرواء مشاريعه الزراعية بقريتي الهيجانة والبيطارية في غوطة دمشق الشرقية .

اهتم أيضاً بتربية الخيول، وكان لديه مجموعة من الأنواع العربية الأصيلة، ومثّل سوريا في رياضة الفروسية في عدّة

سباقات عربية ودولية، وهو أول من أدخل رياضة كرة القدم إلى سوريا، وتمتلك أسرته لهذا اليوم أول كرة قدم دخلت . الملاعب السورية 1905

حاز حسين الإيبش على ثلاثة عشر وساماً وعدة كؤوس منها: أوسمة الاستحقاق السوري، والبريطاني، والفرنسي، وأوسمة رياضية من الجامعة الأمريكية في بيروت، وأخرى مرتبطة بنشاطاته الزراعية، وأوسمة رياضية محلية ودولية عن رياضات الرماية والسباحة والفروسية والمصارعة وألعاب القوى، ويعدّ الموثق الأول لأدغال أفريقيا والهند والحياة البرية عالمياً منذ بداية القرن الماضي .

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.